



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2019/07/31

السنة الثانية عشرة - العدد: 4351

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

المقتطف:

[الأهرام/ 26 يناير 1994]

الدكتور: عبد العزيز حموده أستاذ الدراما، وعميد كلية الآداب- جامعة القاهرة سابقا.وقد زاد الطين بلة أن معظم مفرداتنا الفكرية والسياسية مستوردة أصلا، وهي حقيقة تاريخية خاصة بنا منذ بداية عملية التحديث في عصر محمد علي، معنى ذلك أنه إذا كان من الطبيعي على العالم الخارجى أن يستغرق بعض الوقت حتى يولد مفردات جديدة للخطاب السياسى والفكرى فإننا سننتظر وقتا أطول حتى نقوم بنقل تلك المفردات الجديدة واستخدامها فى قاموسنا الفكرى والسياسى، مما يعنى استمرار الفجوة بين المسميات والمفاهيم لفترة أكثر إرهاقا وتشثيتا للفكر القومى، وسوف يبقى الأمر كذلك إلى أن نطور فكرا قوميا خاصا بنا، فكرا غير مستورد يضرب فى أعماق المكان والزمان الخاصين بنا، وبدون ذلك البديل الفكرى القومى ستظل مفردات الخطاب الثقافى غريبة ومستوردة تفرضها علينا قلة سريعة الاتصال متسارعة فى النقل.

زاد الطين بلة أن معظم مفرداتنا الفكرية والسياسية مستوردة أصلا، وهي حقيقة تاريخية خاصة بنا منذ بداية عملية التحديث فى عصر محمد علي (عبد العزيز حموده)

إذا كان من الطبيعي على العالم الخارجى أن يستغرق بعض الوقت حتى يولد مفردات جديدة للخطاب السياسى والفكرى فإننا سننتظر وقتا أطول حتى نقوم بنقل تلك المفردات الجديدة واستخدامها فى قاموسنا الفكرى والسياسى (عبد العزيز حموده)

استمرار الفجوة بين المسميات والمفاهيم لفترة أكثر إرهاقا وتشثيتا للفكر القومى، وسوف يبقى الأمر كذلك إلى أن نطور فكرا قوميا خاصا بنا، فكرا غير مستورد يضرب فى أعماق المكان والزمان الخاصين بنا

بدون ذلك البديل الفكرى القومى ستظل مفردات الخطاب الثقافى غريبة ومستوردة تفرضها علينا قلة سريعة الاتصال متسارعة فى

وليس من قبيل المبالغة القول بأن مفردات الخطاب الأدبى والنقدى ذاته تعبر عن نفس الأزمة، فبعد أن عشنا الشطر الأكبر من القرن الحالى نردد مفردات غريبة غريبة علينا كالرومانسية والكلاسيكية والميتافيزيقية والواقعية الاشتراكية والتحليلية. بدأنا فى السنوات الأخيرة، وبفضل سرعة الاتصال والنقل نستخدم مفردات تتفاهم بها القلة الناقلة لها فقط كالحداثة وما بعد الحداثة والبنوية والتفتيتية والسيميوطيقا والهرمونيوطيقا وغيرها. لم نقصد أبدا بتلك الكلمات رسم صورة قاتمة لواقع الفكر القومى، لكن الحقيقة أن الواقع يضعنا أمام اختيار وحيد "إما النظام أو الفوضى ."

الموقف:

- (1) هذا الكلام شديد الأهمية، سواء قيل فى مجال السياسة أم الاقتصاد أم الأدب أم الطب .
- (2) وهو كلام قديم جدا له علاقة وثيقة بالوسواس المعاد حول إشكالات: الذات والآخر، الأصالة والمعاصرة، القومية والعالمية، الكلام والممارسة، إلى آخره
- (3) ثم مشكلة أخرى متعلقة بهذا الكلام وهي التفرقة بين المسمى والمفهوم
- (4) ثم أيهما يأتى أولا: المصطلح أم استعماله، وبألفاظ أخرى: هل الممارسة هي التي تبحث

النقل

أن مفرداته الخطاب الأدبي والنقدي ذاته تعبر عن نفس الأزمنة

بدأنا في السنوات الأخيرة، وبفضل سرعة الاتصال والنقل نستخدم مفرداته تفهام بما القلة الناقلة لها فقط كالحداثة وما بعد الحداثة والبنوية والتفنتية والسيميوطيقا والمرمونيطيقا وغيرها (عبد العزيز حمودة)

هذا الكلام شديد الأهمية، سواء قيل في مجال السياسة أم الاقتصاد أم الأدب أم الطب

هو كلام قديم جدا له علاقة وثيقة بالهوساس المعاد حول إشكالات: الذات والآخر، الأصاله والمعاصرة، القومية والعالمية، الكلام والممارسة، إلى آخره

أيهما يأتي أولا: المصطلح أم استعماله، وبالأغلب أخرى: هل الممارسة هي التي تبني لها عن لفظ جامع مانع يحددها، أم أن اللفظ (المصطلح) هو الذي يحدد طبيعة الممارسة

هذه قضية ترجعنا إلى نشأة اللغة، وتطورها، وضمورها، وتخلفها، وسجنها، وتحللها، وكل ذلك أمور حياتية جوهرية لا مفر من مواجهتها بالشجاعة الكافية والمسئولية المناسبة.

إذا نحن نحفظنا على هذه المصطلحات المستوردة فعلا، البعيدة عن واقعنا أصلا، فكيف نتجاوز معهم، بل كيف نتجاوز معنا نحن، وهل عندنا بديل؟

لها عن لفظ جامع مانع يحددها، أم أن اللفظ (المصطلح) هو الذي يحدد طبيعة الممارسة، وهذه قضية ترجعنا إلى نشأة اللغة، وتطورها، وضمورها، وتخلفها، وسجنها، وتحللها، وكل ذلك أمور حياتية جوهرية لا مفر من مواجهتها بالشجاعة الكافية والمسئولية المناسبة.

(5) والمخاطر بلا حدود، وليس لها حل سهل، فإذا نحن نحفظنا على هذه المصطلحات المستوردة فعلا، البعيدة عن واقعنا أصلا، فكيف نتجاوز معهم، بل كيف نتجاوز معنا نحن، وهل عندنا بديل؟ وإذا نحن استعملنا نفس المصطلحات ولكن بمضمون خاص، ولهدف خاص (يصب في العام طبعا)، فمن أين لنا النظام والالتزام الذي يحقق أى قدر من الاتفاقية فيما بين غالبية ما "تتعامل مع هذا المصطلح أو ذاك؟ وإذا نحن ابتدعنا، أو اكتشفنا مصطلحاتنا من واقعنا، فكيف نقى أنفسنا مخاطر العزلة فالضمور؟

(6) ثم لا ينبغي أن نتصور أن مثل هذه المصطلحات هي مقدسات ثابتة عند أصحابها، بل لا ينبغي أن نتصور أنهم يعرفونها تحديدا هم أنفسهم، وقد وقع في أيدينا مؤخرا كتاب مبسط من سلسلة "للمبتدئين" (لاحظ كلمة للمبتدئين) = for beginners (2) عن "ما بعد الحداثة" حيث أتى في كلمة مقدمة الكتاب أن أول استعمال لكلمة "ما بعد الحداثة" كان قبل سنة 1926 حيث يمكن إرجاعها إلى سنة 1870 حين استعملها الفنان البريطاني جون واتكنز شابمان، وإلى سنة 1917 حين استعملها رودلف بانوتز.. إلخ. ثم يناقش الكتاب في أول صفحة كلمة "ما بعد Post وهل تعنى أنها نتيجة الحداثة، أم أنها تلى الحداثة زمنيا، أم أنها تطور الحداثة، أم أنها إنكار للحداثة، أم أنها رفض للحداثة؟ مرة أخرى. إلى آخره.

هذه مراجعات أولية للمبتدئين، مدعومة بالرسوم الكاريكاتيرية، (كما نعلم أطفالنا بالصور كيف يذهب عادل وسعاد إلى المدرسة).

فإذا كان الأمر كذلك عندهم، فأين نحن من كل ما ورد في المقتطف الحالي؟ يا خبر!! وهل يوجد عندنا من يعترف أنه مبتدئ، ناهيك عن ضرورة التساؤل عند غير المبتدئ عن مدى إلمامه بألف باء لغتهم، فما هو الحال عندنا؟ وهل مراجعتنا لهذه المصطلحات تعتبر رفضا لها؟ أم تعميقا لفهمنا إياها؟ أم محاولة للحوار معها؟ أم بحثا عن قضاياها الخاصة المقابلة أو الموازية لها؟

(7) إن احتمال التوقف عند بحث أصل وحدود مصطلح ما، خاصة إذا لم يكن نابعا منا، قد يجعلنا نضيع وقتا نحن أحوج ما نكون إليه، إذ قد يجرننا إلى مناقشات نظرية، تلهينا عن القضايا الموضوعية التي يتناولها هذا المصطلح أو ذاك، ولذلك فنحن لا ندعو إلى تتطع مذهبنا حول معنى لفظ بذاته، ولكن إذا كنا سنستعمل هذا المصطلح أو ذاك لنفس استعمالهم، فليس لنا خيار في أن نعرف كيف يستعملونه، أما إذا كنا سنستعمله كما يرن في وعينا والسلام، فهذا أخطر لأننا نتعرض بذلك إلى أخطاء ليس لها مثل، لدرجة يصبح الجهل بها، وتجنبها أشرف وأصدق سبيل لمعرفة ما تدور حوله. (مثلا يستعمل البعض مصطلح "ما بعد الحداثة" بمعنى أنه أمر أحدث من الحديث!!)

(8) مثال من التخصص في الطب النفسى: كاد انجرارنا وراء مصطلحاتهم التصنيفية جملة وتفصيلا أن يفسد كل تدريب لدينا، وأن يخل بكل مفهوم مفيد للإنسان وللمرض على حد سواء، ذلك لأن دليلا تصنيفيا أمريكيا للأمراض النفسية قد ظهر منذ 1980 (هو الدليل التصنيفي

الثالث DSM III وعدل حتى ظهر الدليل الرابع DSM IV سنة 1990 وقد نتشر انتشارا خطيرا في كل العالم قبل حكاية النظام العالمي الجديد، ولم ينجح حتى التقسيم العالمي العاشر ICD 10 الذي صدر مؤخرا 1995 (3) في أن يحل محله، وهذا الدليل مثال صارخ لمدى الإفساد الذي حل ببرامج التدريب في الطب النفسي عندنا، حتى لم يعد الطالب والطبيب الصغير يعرف الأمراض، لكنه يشخصها، بأن يتعرف على المرض والإنسان من قشور طفح أعراض متناثرة هنا وهناك، ويغفل قبل وبعد ذلك ضرورة التعرف على طبيعة المرض، وحقيقة الاضطراب، التي نتج عنها هذا الطفح الأعراضى هكذا.

والأهم من هذا الاستشهاد أن أصحاب الدليل أنفسهم لا يفعلون مثلنا أصلا، بل إنهم يستعملون هذا التصنيف لأغراض تأمينية، وقانونية، وإحصائية أساسا.

(9) بقيت كلمة أخيرة في موقفنا من هذا المقتطف وهي إعلان اتفاقنا من حيث المبدأ مع آخر جملة في المقتطف، وهو أنه: "إما النظام أو الفوضى" لكن علينا أن نتساءل: أى نظام؟ وهم ملوك النظم والمنظومات؟ وأى فوضى؟ وقد أصبح للفوضى قوانينها الرائعة من خلال ما سمي بعلم الشواش والتركيبيية؟

المسائل أصعب من كل تصور،
ولا سبيل إلى اختزالها أو التغافل عنها.

إذا نحن ابتدئنا، أوأحتشهننا
مصطلحاتنا من واقعنا، فكيف
نتهى أنفسنا مخاطر العزلة
فالمصهور؟

هل يوجد عندنا من يعترف
أنه مبتدى، ناهيك عن
ضرورة التساؤل عند غير
المبتدى، عن مدى إلمامه
بالفئة بآ لغتهم، فما هو الحال
عندنا ؟

هل مراجعتنا لهذه
المصطلحات تعتبر رفعا لها؟
أم تعميقا لفهمنا إياها؟ أم
محاولة للحوار معها؟ أم بحثا
عن قضاياها الخاصة المقابلة أو
الموازية لها؟

إن احتمال التوقف عند بحث
أصل وحدود مصطلح ما، خاصة
إذا لم يكن نابعا منا، قد
يجعلنا نصبح وقتنا نحن أحوج ما
نكون إليه

مثال من التخصص في الطب
النفسي: كاد انجرارنا وراء
مصطلحاتهم التصنيفية جملة
وتفصيلا أن يفسد كل تدريب
لدينا، وأن يخل بكل مفهوم
مفيد للإنسان وللمرض على
حد سواء

- [1] مقتطف وموقف من عدد 61 ابريل 1998 مجلة الإنسان
والتطور الفصلية

- [2] Postmodernism : FOR BEGINNERS 1995 Icon Books
Grange Road, Oxford, Cambridge CB2 4QF

وهي ضمن سلسلة هائلة "للمبتدئين" للتعريف باللغة
العلمية الأساسية المتعلقة بقضية حديثة أو قديمة، أو
بشخص مشهور، لا سيما من أخذ مأخذا سطحيًا مثل سيجموند
فرويد أو كارل يونج. هذا عندهم، فكيف يكون الحال
عندنا ؟

- [3] هذا الكلام منشور سنة 1998 قبل صدور الدليل
الأمريكي الخامس DSM V والدليل العالمي الحادى عشر ICD
11

ارتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD310719.pdf

*** **



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معاً ... نذهب أبعد

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقميا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

*** **

الكتاب السنوي 2019 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفي شمعتها الثامنة عشر من التأسيس وتدخل عامها السابع عشر على الوبج

18 عاما من الكد... 16 عاما من التواحل "

(التأسيس: 2000/01/01 - على الوبج: 2003/06/13)



كامل الاصدار

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

جائزة قتيبة شلبي

لشبكة العلوم النفسية العربية 2019

دعوة لتقديم الترشيحات

شروط الترشح للجائزة

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2019/APNprize2019.pdf

ارتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>